

الحياة المسيحية معناها اتباع المسيح

جون نور

أعزائي المستمعين الكرام موضوع حلقتنا اليوم من برنامجنا حكم وأمثال من الكتاب المقدس هو الحياة المسيحية معناها اتباع المسيح.

كانت دعوة المسيح غاية في البساطة وهي «اتبعني»، وقد طلب من الجميع، رجالاً نساءً، ولاءهم الشخصي، ودعاهم أن يتلعلموا منه وأن يطيعوا كلامه.

ولكن لا اتباع بدون التخلي عن عزيز. اتباع المسيح معناه أن نعتبر أن ولاءنا له يفوق أي ولاء آخر. وفي أيام تجسده قصد أن يكون الولاء حرفياً، فقد ترك سمعان واندراوس شبакهما وتبعاه، أما يعقوب ويوحنا «فَتَرَكَا أَبَاهُمَا زَيْدِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الْأَجْرَى وَذَهَبَا وَرَاءَهُ».وها متى لما سمع دعوة المسيح عندما كان جالساً في مكان الجبابة «تَرَكَ كُلُّ شَيْءٍ وَقَامَ وَتَبَعَهُ» (مرقس 1: 20 – 27: 5).

ومن حيث المبدأ، فإنه لم تتغير دعوة الرب يسوع حتى اليوم. فهو لا يزال يقول «اتبعني»، ويضيف أيضاً: «فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لَا يَتَرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ، لَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيذًا» (لوقا 14: 33). ومع أن المسيحيين، بصورة عامة، لا يعتقدون بحرفية التخلي عن بيورهم وأعمالهم، إلا أنهم يعتبرون واجباً ملحاً أن يكون لهم التسليم القلبي للمسيح، فلا يسمحوا لعواطفهم العائلية ومطامعهم الدنيوية أن تنافس المسيح على احتلال المركز الأول في قلوبهم.

واسمحوا لي أن أتكلم بأكثر صراحة ووضوح عن الترك الذي لا يمكن أن نفصله عن اتباع يسوع المسيح.

يجب ترك الخطية

وبعبارة أخرى هذا ما نسميه: «التبوية» وهو الجزء الأول من التجديد أو التغيير المسيحي، ولا يمكن التغاضي عنه بتاتاً. فالتبوية والإيمان يسيران جنباً إلى جنب، ولن نستطيع أن نتبع يسوع دون أن نترك الخطية. فقد توجد في حياتنا خطايا، نظن أنه لا يمكن التخلي عنها أو تركها أبداً، ولكن ينبغي أن تكون مستعدين لتركها، ونحن نصرخ إلى الله طالبين النجاة والخلاص منها. وإذا طلب منك أن تتخلى عن أي شيء اتركته في الحال، وقد يكون هذا الشيء صدقة أو تسلية أو نوعاً من الكتب التي تقرأها أو موقف كبريء أو حسد أو كره أو روح عدم التسامح. كن حازماً في موقفك، وتذكر ما علم به المسيح قائلاً: «إِنْ أَعْتَرْتُكَ يَدُكَ أَوْ رِجْلَكَ فَاقْطَعْهَا... وَإِنْ أَعْتَرْتُكَ عَيْنَكَ فَاقْلِعْهَا» (متى 18: 8 و9).

ذلك لأن بعض خطايانا تؤثر على غيرنا من الناس، كما تؤثر على الله. إن خطايانا تجرح قلب الله، ولا يمكن لأي عمل صالح نعمله، أن يشفى الجرح، بل وحده موت مخلصنا يسوع المسيح الكفاري يستطيع هذا.

رغبة منا في اتباع المسيح، يجب علينا لا أن نترك الخطايا فحسب بل أن نتخلى عن مبدأ الأنانية – لأننا – التي تكمن في جذور أعمال الخطية. أن اتباع المسيح معناه تسليمه كل الحق للإشراف على حياتنا الخاصة، متنازلين عن عرش قلوبنا، وأضعين الصولجان في يده واتاجنا فوق رأسه، نتوّجه ملكاً لنا.

لكي نتبع المسيح، يجب أن ننكر نفوسنا، أن نصلبها، أن نهلكها. وها يسوع يضع طلبه مكشوفاً صريحاً، فإنه لا يدعونا لنخضع

خضوعاً ناقصاً. بل إلى تسليم تام مطلق لأن نجعله رباً. من الغرابة بمكان في عصرنا الحاضر، أن البعض يدعى أنه بإمكاننا أن نتمتع بفوائد خلاص المسيح، دون أن نقبله رباً لنا. إن مثل هذا الرأي، لا وجود له في العهد الجديد، فالعبارة «يسوع رب» كانت أقدم قانون إيمان عرفه المسيحيون.

إن نجعل المسيح ملكاً ورباً معناه أن نضع كل ما في حياتنا الخاصة وال العامة، تحت سلطانه، وهذا يشمل عملنا ومستقبلنا. إن لله قصداً وغاية لكل حياة، إذاً فليكن شغلنا الشاغل أن نكتشف هذا القصد ونتحقق. وقد يختلف قصد الله فينا عما قصدناه نحن لأنفسنا أو قصده لنا والدونا. وإن كان المسيحي عاقلاً وحكيماً حقاً، فلن يفعل شيئاً عن طيش أو تهور، سواء في العمل الذي أعدد الله له، أم في ما أعدد هو لنفسه. وإن كنا فعلاً قد أخذنا المسيح رباً لنا، ينبغي أن يكون لنا الاستعداد لتقبل ما يجريه في حياتنا من تغيير.

هناك أشياء أخرى خاصة بنا، يلزم أن تخضع لسيادة يسوع المسيح وسلطانه، إذا سلمنا حياتنا له، ألا وهي المال والوقت. لقد تكلم المسيح كثيراً عن المال وعن خطر الغنى، كان يوصي تلاميذه، بتحويل ما عندهم من الممتلكات والمقتنيات إلى نقود وأموال، لتوزيعها كلها على الفقراء، وإنه وبدون جدال، يفعل هذا في وقتنا الحاضر، ويدعو أتباعه لهذا العمل نفسه. إن جل قصد المسيح هو أن تكون حريصين على أموالنا وفي الوقت ذاته أن نصرفها بسخاء وبضمير حي؛ لأن المال الذي في أيدينا، ليس لنا، لكنه لله، وما نحن إلا مجرد وكلاء عن الله، فالسؤال الذي يتबادر إلى ذهنا، ليس «كم أعطي للرب من مالي»؟ بل «كم من مال الرب يجب أن أحافظ به لنفسي؟».

لعل الوقت، مشكلة كل إنسان في هذه الأيام! ويجب على المسيحي أن يعيد ترتيب قائمة أفضلياته في الحياة. فإذا كان طالباً، فإن الدراسة ستكون في رأس قائمة الأعمال. ولئن كان المسيحي يعرف عادة، بالاجتهاد والأمانة في العمل لكن عليه أن يعطي وقتاً، في برنامجه المزدحم، للصلوة اليومية ودرس الكتاب المقدس، ولتكريس يوم الأحد للرب يوم عبادة وراحة، وللشركة مع المؤمنين أمثاله، ولقراءة كتب دينية أو للقيام بخدمة مسيحية في الكنيسة أو المجتمع.

إن كل هذه الأشياء تدخل في الحساب، إذا تركنا خطايانا وأنكرنا أنفسنا واتبعنا المسيح.